الرسالة

(رومية ١٣:١١–١٤؛ ١٤: ١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلندَعْ عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ النورِ* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُكرِ ولا بالمضاجعِ والعَهَرِ ولا بالخصامِ والحسد* بل البسوا الربَّ يسوعَ المسيح ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراءِ* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

مرفع الجبن

«في هذا اليوم، الذي هو مرفع الجبن، نصنع تذكار نفي آدم وحوّاء من الفردوس. فَليَنُحِ العالم مع زعيمَيّ الجنس البشريّ ويندب متمرمرًا، إذ لما سقطا بالأكلة الحلوة سقط معهما متهوّرًا. فبحنوِّك الذي لا يُلفظ به، أيّها المسيح إلهنا، أهّلنا لنعيم الفردوس وارحمنا بما أنّك وحدك محبٌّ للبشر» (سنكسار أحد مرفع الجبن).

تطلق كنيستنا المقدّسة على أحد مرفع الجبن تسمية «أحد الغفران»، ذلك انطلاقًا من الإنجيل الذي يُتلى اليوم (مت ٦: ١٤–٢١)، والذي يحذّرنا فيه الربّ من أنّ الله سيغفر خطايانا بمقدار ما نغفر نحن للآخر. شرطُ الغفران هذا يعود ليظهر أمامنا يوم الفصح المقدّس، عندما ننشد: «لنصفح لمبغضينا عن كلّ شيء في القيامة، ولنهتف هكذا قائلين: المسيح قام...». لذا، مساء أحد الغفران، في نهاية صلاة الغروب التي نفتتح بها موسم الصوم الكبير المبارك، تُقام خدمةُ الغفران، وهي عبارة عن طلب المؤمنين الغفرانَ بعضهم من بعض قائلين: «اغفر لي، يا أخي، أنا الخاطئ»، فتكون الإجابة بعبارة: «الربّ يغفر لنا جميعًا»، وهذ يتمّ فيما تُرَتَّل الترانيم الفصحيّة، فنعلن بذلك أنّ هدف رحلتنا الروحيّة هو الوصول إلى الفصح المقدّس ومعاينة قيامة المسيح المجيدة، حيث تمّت المصالحة مع الله وفُتحت أبواب الفردوس معلنةً بدء عودتنا إلى الفردوس المفقود قديمًا. بسبب خطيئة آدم وحوّاء، خطيئة كلّ الجنس البشريّ، نحن بحاجة إلى غفران الله، الذي نحصل عليه فقط إذا غفرنا بعضُنا لبعض.

إذًا، هدف رحلتنا الصياميّة هو العودة إلى الأحضان الأبويّة، إلى فردوس النعيم الذي خرجنا منه بعد السقوط. من هنا، تتحدّث غالبيّة ترانيم غروب وسَحَر مرفع الجبن وصلواتهما عن طرد آدم وحوّاء من الفردوس. نصنع تذكار هذا النَّفي كي نتذكّر منذ البدء أنّ الملكوت هو سعي حياتنا:«يا رب لما خالفت أمرك الإلهي بمشورة العدو، عُرّيت من الحلة المنسوجة من الله أنا الشقي وقد ترديت الآن بالوشاح

العدد ٢٠٢٠/٩

الأحد ١ آذار

أحد مرفع الجبن (الغفران)

تذكار البارّة إفدوكيا

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

الجلدي وبورق التين، وحتم عليَّ بأن آكل بالعرق خبزًا مملوءًا أتعابًا، والأرض لُعنت لتفرخ لي شوكًا وحسكًا، لكن يا من تجسد في آخر الأزمنة من البتول، ادعني وادخلني أيضًا إلى فردوس النعيم» و«إنّ آدم جلس إزاء الفردوس وندب عريَته منتحبًا وهاتفًا: ويلي أنا المسلوب المأخوذ بالخديعة الخبيثة والنائي عن المجد. ويحي أنا الذي بالسذاجة صرتُ عريانًا وأمسيتُ الآن حائرًا. فيا أيّها الفردوس، لن أتمتّع فيما بعد بنعيمك، ولا أعاين ربّي وإلهي وخالقي، لأنّي سأعود إلى الأرض التي منها أُخذت، فأهتف إليك أيّها الرؤوف المتحنّن: ارحمني أنا الواقع» (من صلاة الغروب).

نقرأ في سِفْرِ التكوين: «وغرس الربُّ الإلهُ جنّةً في عدن شرقًا، ووضع هناك آدمَ الذي جَبلهُ. وأنبتَ الربُّ الإلهُ من الأرض كُلَّ شجرةٍ شهيَّةٍ للنَّظرِ وجيّدةٍ للأكل، وشجرةَ الحياةِ في وسطِ الجنَّةِ وشجرةَ معرفةِ الخيرِ والشرّ... وأوصى الرَّبُّ الإلهُ آدمَ قائلًا: من جميعِ شجرِ الجنَّةِ تأكلُ أكلًا، وأمَّا شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرّ فلا تأكل منها، لأنَّك يومَ تأكلُ منها مَوتًا تموت... فرأتِ المرأةُ أنَّ الشَّجرةَ جيِّدةٌ للأكل وأنَّها بهجةٌ للعيونِ وأنَّ الشَّجرةَ شهيَّةٌ للنَّظرِ، فأخذتْ من ثمرها وأكلَتْ وأعطتْ رَجُلَها أيضًا معَها فأكلَ» (٢: ٨–٩، ١٦–١٧، ٣: ٦). لا يذكر سفر التكوين نوع الشجرة، بل ركّز على المواصفات: «جيّدة للأكل، بهجة للعيون، شهيّة للنَّظر»، التي ترتبط جميعها بالشهوة التي كانت، ولا تزال، سببًا للخطيئة. لا نستغرب أنّ التقليد الغربيّ استعمل ثمرة التفّاح إشارةً إلى ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ. ففي اللاتينيّة التفّاحة هي «mallum»، والشرّ «malum».

بالنسبة إلى الغرب، عرف الجدّان الأوّلان الشرّ (malum) بعدما أكلوا التفّاحة (mallum). هذا التقارب في جذر الكلمتين دفع بهم إلى القول بأنّ التفّاحة هي ثمرة شجرة معرفة الخير والشرّ. لا بدّ من أن نلاحظ أنّ آدم وحوّاء لم يأكلا من ثمر شجرة الحياة بل من الشجرة الثانية، وبهذا ابتعدا، بإرادتهما الحرّة، وبسبب الشهوة، عن مصدر الحياة، أي الله. اليوم، نعلن حربًا على الشهوة، من خلال الامتناع عن بعض الأطعمة، كي نصل إلى الأسبوع العظيم، الذي يتوسّطه الصليب المحيي «عود الحياة»، فنعود إلى الفردوس مجدّدًا. رحلة الصوم، هي رحلة عودتنا إلى الحياة، إلى الفردوس الذي فُتحت أبوابه ثانية للجنس البشريّ على الصليب عندما قال الربّ للّصّ التائب: «الحقّ أقول لك: إنّك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣).

يكتب أحد الآباء المعاصرين: «قد نتساءل لماذا تحدّثنا الكنيسة عن الغفران ونحن نحتسب أنّنا ندخل في نظام طعاميّ. بالحقيقة نحن لسنا داخلين أساسًا في نظام من مأكل ومشرب، لكنّنا داخلون إلى ما هو أعمق بكثير. نحن داخلون في حربٍ مع قوى الشرّ الكامنة فينا. لا يقتصر اهتمامُنا على طعام نمسك عنه وطعام آخر نأكله؛ هذا رمز. هذا أمر خارجيّ لكي يدرّبنا قليلًا على أنّ الأمر الذي نكافحه هو الشهوة، حبّ الأرض وما فيها من مغريات، حبّ ما نملكه، حبّ ما أنجزناه. لذلك، ناداانا الرسول بإلحاح ألّا نهتمّ بأجسادنا لقضاء شهواتها، وناداانا الربّ يسوع بألّا يكون هاجسنا أن نكنز مالًا على الأرض يُفسده السوس والآكِلة وينقبه السارقون. هذه الرياضة

الإنجيل

(متى ٦: ١٤–٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلَّاتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلاَّتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلاَّتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنَكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمَّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِلْ وجْهَك لئلاَّ تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلةٌ ولا يَنْقُبُ السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

تأمل

«لا تهتمّوا بأجسادكم لقضاء شهواتها».

ينبغي ألاّ يكون المرء

عبدًا لجسده، ما لم يكن ذلك لضرورةٍ قصوى. أمّا النفس، فينبغي تزويدها بما هو الأفضل لها بغية أن تتحرر بواسطة حب الحكمة من سجن العلاقة التي تربطها بأهواء الجسد، وفي الوقت عينه منح الجسد الوسائل لقهر هذه الأهواء. عليه، فإنّ تكريس الاهتمامات حصريًّا لتزويد الجسد بالراحة يعني عدم معرفة الذات، وعدم فهم ذلك المبدأ الحكيم القائل بأن ليس ما يُرى هو الذي يؤلّف الإنسان، بل إنّ ثمة حاجةً لحكمةٍ عُليا سيعرف كلٌّ منّا من هو بفضلها. بيد أنّ هذا – في حال عدم تطهّر الذهن – يكون مستحيلاً أكثر ممّا يستحيل على العيون التي أصابها التهابٌ أن تعاين الشمس. لكنّ تطهير النفس، بكلمة، يعني أن تُعامَل لذّاتُ الحواس باحتقار، فلا تُغذّى العين بعُروض المشعوذين الشاذّة أو بمشاهدة البدن التي تغرز فينا شوكة اللّذة، ولا يُسمح للأذنين بسكب نغمٍ ماجنٍ في النفس، إذ لا ريب في أنّ أهواءَ وليدةَ البذاءة والدناءة تنبت فيها تلقائيًّا تحت تأثير هذا الروحيّة التي نتّخذها غدًا قاعدةً للحياة، إنّما كانت لكي تقرِّبنا إلى الله، وتفصلنا عن المحبّة الفاسدة، بغية الالتصاق بالحبيب الأوحد».

الإعتراف

قال لنا ربُّنا يسوع المسيح في الإنجيل الذي قُرِئَ اليوم على مسامعنا: «إن غفرتُم للنّاس زلّاتهم يغفر لكم أبوكم السماويّ أيضًا، وإن لم تغفروا للناس زلّاتهم فأبوكم لا يغفر لكم زلّاتكم» (مت ٦: ١٥). أيضًا، سَمِعنا الرسول بولس يقول في رسالةِ اليوم: «قد تناهى اللّيل واقترب النهار، فلنَدَع عنّا أعمال الظُّلمة ونلبس أسلحة النّور» (رو ١٣: ١٢).

كثيرون يتساءلون، وخصوصًا مَن هم في سنّ الشباب، عن سرّ الإعتراف، وعمّا إذا كان في إمكانهم الإعتراف فورًا لله من دون المرور أمام الكاهن أو الأب الروحيّ. إنّ هذه الفكرة تنطلق من مبدأ الخجل، لكنّ منطقَها ليس مستقيمًا. فكيف نخجل ممّن هو بشريّ مثلنا، أي الكاهن، ولا نخجل من الخالق الذي أخطأنا بحقّه، ونتجرّأ على التوجّه إليه بالحديث المباشر؟! فالله المحبّ البشر، سلَّمَ رسلَه الأطهار، ومن بعدهم رؤساء الكهنة والكهنة، إتمام سرّ الإعتراف، لماذا؟ لأنَّ الإنسانَ البشريّ ماديّ بطبيعته، ويحبّ التأكُّدَ من كلّ شيء بطريقةٍ محسوسة. إذًا، عندما نتحدَّث مع الله مباشرةً، هل سنسمع منه جوابًا يقول لنا فيه إنّ خطايانا قد غُفِرَت؟ بينما عندما نعترفُ بخطايانا أمام الكاهن، سنتأكّد من أنَّ خطايانا غُفرت بالسلطان المُعطى له من الله.

أيضًا، كثيرون يرفضون الذّهاب إلى الكاهن للإعتراف، ذلك بسبب أنَّ الكاهن إنسانٌ معرَّضٌ للخطأ، فكيف نقرّ بخطايانا أمام خاطئ؟ بدءًا، صحيحٌ أنّ الكاهن إنسانٌ قابل للخطيئة، لكنَّه تعلَّمَ أن يعترف بخطاياه هو أيضًا أمام أبيه الروحيّ، لذلك انتقل من مرحلة البنوّة إلى الأبوّة، بعدما اختبر الخطيئة ومفاعيلها، ثمّ عاش التوبةَ وجمالها، وهو بدوره يرغب في أن يذوق كلُّ الناس الحلاوةَ التي سبق له أن ذاقها. ثانيًا، الكاهنُ ليس موجودًا ليدينَ الآتي إليه ليعترف بخطاياه. لقد سمعنا اليوم في الرسالة: «مَن أنتَ يا مَن تَدينُ عبدًا أجنبيًّا» (رو ١٤: ٤)؛ الكاهن موجودٌ لكي يُرشِدَ الأبناءَ إلى المسيح، ولكي يعطيهم من خبرتِهِ ويجنّبهم آلامَ الأهواء والشهوات والخطايا التي سبق له أن مرَّ بها قبلهم. ثالثًا، أليسَ التواضع أساس التوبة؟! فكيف نبرهن عن تواضعنا إن لم نقف موقف الابن الشاطر ونقرّ بأنّنا أخطأنا أمام الله وأمام جسده– الكنيسة. لهذا السبب كان الإعتراف جماعيًّا في القديم، أي كان الخاطئ يقف أمام الجماعة– الكنيسة ويعترف بأنَّه أخطأ، كونه كان يدرك أنّ كلَّ خطيئة يقوم بها، حتّى ولو بشكلٍ سرّيّ، هي جرحٌ يصيبُ الجسد كلَّه. رابعًا، ألسنا جميعًا نذهب إلى الطبيب المختصّ عندما يصيبُ جسدَنا الترابيّ أيُّ ألمٍ أو مرض؟ ألا تستحقّ نفوسُنا المريضة بالخطيئة، التي يدعوها الآباءُ القدّيسون «سرطان النّفس»، أن نهرع إلى الطبيب المختصّ لكي يعطينا الدّواء اللازم؟

سمّ الآباء القدّيسون سرّ التوبة والإعتراف «الدواء المَنسيّ»، لأنّنا

لا نتناوله، على الرغم من الأمراض الكثيرة التي تصيبُ نفوسنا. كنيستنا المقدّسة هي المستشفى، وربُّنا طبيبُ النفوس والأجساد قد أعطى الأساقفةَ وبواسطتهم الكهنةَ سلطانَ حلّ الخطايا، وبالتالي إنقاذنا من أقسى أنواع الأمراض الخبيثة. ألسنا نهرع إلى الله كي يجترح معنا العجائب متى عرفنا أنّنا مصابون بمرضٍ جسديّ فتّاك؟! فلماذا لا نقوم بالأمر نفسه من ناحية الخطيئة؟ يقول أحد الآباء المعاصرين: «يحفظ الله النفس حتّى لا تسقط في الشرّ والخطيئة، لكن حتّى لو سرى فيها سرطان الخطيئة فإنّ نعمته قادرة على انتزاعه. لا يحدث هذا إلّا عندما نتوب، حيث يشفي الله كلّ خطيئةٍ مهما كانت ثقيلة. إذًا، يكفي أن تُخرج أنت الخطيئة من داخلك وتعترف بها وتشعر بالمسؤوليّة وتأنيب الضمير بسبب وقعتِك حتّى تشفى».

غدًا تبدأ رحلة الصوم الأربعينيّ المقدَّس، وفي نهايتها نصل إلى القيامة البهيَّة. كيف لنا أن نبتهجَ معيِّدينَ لانتصار المسيح على الموت، ونحن قابعون في ظلمات موت الخطيئة من دون توبةٍ؟! كيف نعيِّد لنصرٍ إلهيٍّ على الجحيم، ونحن لا نسمح للمسيح أن يخترق أعماقَنا ليشفي نفوسَنا من جحيم خطاياها؟! دعونا نُسرع نحو الكنيسة، طالبين مغفرةَ خطايانا بتوبةٍ ودموع، فنظهَرُ غالبينَ الخطيئةَ ومنتصرين على الشيطان، فنستحقّ أن نهتف: «المسيح قام!»، حقًّا قامَ في قلوبنا ونفوسِنا حيث سيملكُ مدى الأدهار.

من أقوال الآباء

إذا نظرنا إلى عمق حالتنا، نلاحظ وجود الإنحراف والظلام والشرّ والمكر، عندئذٍ لن يكون لدينا المجال لرؤية حالة الآخر. لن تكون لدينا الرغبة في النظر إلى حالة الآخر، ليس لأنّنا لا نريد رؤية وضعه بل لأنّنا سنكون منشغلين بحالتنا. حينئذٍ، لن نقف عند هذه الأمور، لأنّنا سوف ندرك بعمقٍ أنّ الآخر هو أيضًا واحد ممَّن مات المسيح من أجلهم، وأنّه أيضًا واحد ممَّن تابوا وسيقدّسهم الله، ساعتئذٍ نتعاطف معه.

يقول السيّد: «لأنّه إن أحببتم الذين يحبّونكم فأيّ أجر لكم؟» (مت ٥: ٤٦). إذا أحببنا الذين يحبّوننا، ماذا نكون قد فعلنا؟ فإنّ الخطأة وشعوب العالم ومَن لا علاقة لهم مع الله هكذا يفعلون إذ نجدهم يتحابون فيما بينهم، ربما أكثر ممّا يفعل الأبرار. وإذا أحسنّا، أي فعلنا الخير لمن يفعل الخير معنا، هذا ليس بشيءٍ أيضًا، لأنّ الخطأة يفعلون الأمر نفسه.

إذا كنّا نريد أن يفعل الآخرون بنا ما نطلب منهم أن يفعلوه بنا، علينا أوّلاً أن نقوم بالمثل تجاههم. إن كنّا نريد أن يُظهروا تفهُّمًا تجاهنا، وألاّ يأخذوا في الاعتبار أيًّا من ظروفنا السيّئة، أو عقليّتنا السيّئة، وأن يساعدونا ويدعمونا ويحبّونا، فعلينا أن نقوم نحن أيضًا بالمثل.

من كتاب «أين أنت يا آدم؟»

للأرشمندريت سيمكيون كرايوبولُس

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

النوع من الموسيقى. أمّا تلك الأبخرة الجزيلة الأصناف التي تحمل الشهوة إلى الشمّ عبر امتزاجها بالهواء، أو تلك العطور التي يُصطبغ بها، فإنّي أخجل حتى من منعها عليكم. وماذا أقول عن لزوم عدم السعي وراء مُتَع اللّمس والذوق، سوى أنّها تُرغِم المتفرّغين لملاحقتها على العيش كالماشية، مُنحنين نحو البطن وما أسفل. إذًا هذا الاهتمام المفرط بالجسد إنّما هو ضررٌ للجسد نفسه وعائقٌ للنفس في آنٍ معًا، ما يجعلها تتذلّل أمامه صائرَة أمةً له، وهذا ما سيكون من الحماقة بوضوح. فحين يتجاوز المرء الحدود الضروريّة، يُضحي شبيهًا بمن يُجَرُّون على منحدر، حيث لا مستقرّ لأقدامهم وحيث لا مرتكز لإيقاف الحركة إلى الأمام، ذلك بغية إشباع هواه. فلنباشر إذًا العمل الأفضل، إذ من المخزي إهمالُ الوقت الحاضر والتأسّف على الماضي لاحقًا، حين سنبدّد جهدنا في التأسّف.

القديس باسيليوس الكبير